(١٣)
الكتاب السنة

فضل أيام عشر ذي الحجة

إعداد
القسم العلمي بمكتبة الامام الذهبي

الكويت ـ حولي ـ شارع المثنى ـ تلفون: ٢٦٥٧٨٠٦ ـ فاكس: ٢٦١٢٠٠٤

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين. وبعد :

فإن من فضل الله ومنته أن جعل لعباده الصالحين مواسم يستكثرون فيها من العمل الصالح، ومن هذه المواسم عشر ذي الحجة.

وقد ورد في فضلها أدلة من الكتاب والسنة منها:

- قال تعالى: ﴿ وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ (الفجر: ١، ٢)، قال ابن كثير - رحمه الله -: المراد بها عشر ذي الحجة كما قاله ابن عباس ومجاهد وغيرهم.
- وقال تعالى: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ (الحج ٢٨)، قال ابن عباس: أيام العشر
- وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال: «ما العمل في أيام أفضل من هذه العشر» قالوا: ولا الجهاد؟ قال: «ولا الجهاد إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء» (البخاري).
- وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من أيام أعظم عند الله سبحانه ولا أحب إليه العمل فيهن من هذه الأيام العشر، فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد» (صحيح ابن حبان).
- وعن النبي ﷺ قال: «أفضل الأيام يوم عرفة» (صحيح ابن حبان).
- وكان سعيد بن جبير - رحمه الله - «إذا دخلت العشر اجتهد اجتهاداً حتى ما يكاد يقدر عليه»

(رواه الدارمي بإسناد حسن).

وروي عنه أنه قال: «لا تطفئوا سرجكم ليالي العشر» وذلك إشارة إلى قراءة القرآن والقيام.

● قال ابن حجر - رحمه الله - في الفتح: «والذي يظهر أن السبب في امتياز عشر ذي الحجة لمكان اجتماع أمهات العبادة فيه (الصلاة والصيام والصدقة والحج) ولا يأتي ذلك في غيره.

● وقال ابن رجب - رحمه الله - «لما كان الله سبحانه قد وضع في نفوس عباده المؤمنين حنيناً إلى مشاهدة بيته الحرام، وليس كل أحد قادر على مشاهدته كل عام، فرض على المستطيع الحج مرة واحدة في عمره وجعل موسم العشر مشتركاً بين السائرين والقاعدين».

● وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - عن عشر ذي الحجة، والعشر الأواخر من رمضان، أيهما أفضل؟ فأجاب: أيام عشر ذي الحجة أفضل من أيام العشر من رمضان، والليالي العشر الأواخر من رمضان أفضل من عشر ذي الحجة.

❖ ما يستحب فعله في هذه الأيام ❖

١- الإكثار من الأعمال الصالحة عموماً: لقوله ﷺ: «ما من أيام أعظم عند الله سبحانه ولا أحب إليه العمل فيهن من هذه الأيام العشر ....» والأعمال الصالحة كثيرة من نوافل العبادات: كالصلاة، والصدقة، والجهاد، والقراءة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ونحو ذلك، فإنها من الأعمال التي تضاعف في هذه الأيام.

٢- أداء الحج والعمرة: وهو أفضل ما يعمل، ويدل على فضله عدة أحاديث منها قوله ﷺ «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة».

٣- الصيام: صيام هذه الأيام، أو ما تيسر منها، وبالأخص يوم عرفة (للقاعدين) ولاشك أن جنس الصيام من أفضل الأعمال، وهو ما اصطفاه الله لنفسه كما في الحديث القدسي: «الصوم لي وأنا أجزي به، إنه ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي»، وعن النبي ﷺ: «صيام يوم عرفة، احتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والتي بعده» (مسلم).

٤- التكبير والذكر والتهليل والتحميد: قال تعالى: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (البقرة : ١٨٥) وقد فسرت بأنها أيام العشر، واستحب العلماء لذلك كثرة الذكر فيها، لحديث ابن عمر - رضي الله عنهما - وفيه: «فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد».

٥- التوبة والإقلاع عن المعاصي وجميع الذنوب: حتى يترتب على الأعمال المغفرة والرحمة، فالمعاصي سبب البعد والطرد، والطاعات أسباب القرب والود، قال رسول الله ﷺ «إن الله يغار، وغيرة الله أن يأتي المرء ما حرم الله عليه» (متفق عليه).

٦- يُشرع في هذه الأيام التكبير المطلق: في جميع الوقت من ليل أو نهار إلى صلاة العيد، ويشرع التكبير المقيد: وهو الذي يكون بعد الصلوات المكتوبة التي تصلى في جماعة، ويبدأ لغير الحجاج من فجر يوم عرفة، وللحجاج من ظهر يوم النحر، ويستمر إلى صلاة العصر آخر أيام التشريق.

٧- تُشرع الأضحية في يوم النحر، وأيام التشريق، وهو سنة أبينا إبراهيم عليه الصلاة والسلام حين فدى الله ولده بذبح عظيم، وقد ثبت أن النبي ﷺ «ضحّى بكبشين أملحين أقرنين، ذبحهما بيده وسمّى وكبّر،

ووضع رجله على صفاحهما» (متفق عليه).

٨- على المسلم الحرص على أداء صلاة العيد حيث تصلى، وحضور الخطبة والاستفادة، وعليه معرفة الحكمة من شرعية هذا العيد، وأنه يوم شكر وعمل بر، فلا يجعله يوم أشر وبطر ولا يجعله موسم معصية وتوسع في المحرمات: كالأغاني، والملاهي، والمسكرات ونحوها، مما قد يكون سبباً لحبوط الأعمال الصالحة التي عملها في أيام العشر.

٩- بعد ما مر بنا ينبغي لكل مسلم ومسلمة أن يستغل هذه الأيام بطاعة الله وذكره وشكره، والقيام بالواجبات والابتعاد عن المنهيات، واستغلال هذه المواسم والتعرض لنفحات الله، ليحوز على رضا مولاه.

❖ هدي النبي ﷺ في يوم عرفة ❖

قال ابن القيم - رحمه الله - :

● لما طلعت شمس يوم التاسع سار رسول الله ﷺ من منى إلى عرفة، وكان معه أصحابه منهم الملبِّي ومنهم المكبر، وهو يسمع ذلك ولا ينكر على هؤلاء ولا على هؤلاء، فنزل بنمرة حتى إذا زالت الشمس أمر بناقته القصواء فرحلت، ثم سار حتى أتى بطن الوادي من أرض عرفة، فخطب الناس وهو على راحلته خطبة عظيمة قرر فيها قواعد الإسلام، وهدم فيها قواعد الشرك والجاهلية وقرر فيها تحريم المحرمات التي اتفقت الملل على تحريمها.

● وخطب ﷺ خطبة واحدة، ولم تكن خطبتين، فلما أتمها أمر بلالاً فأذن، ثم أقام الصلاة فصلى الظهر ركعتين أسرَّ فيهما بالقراءة، ثم أقام فصلى العصر

ركعتين أيضاً ومعه أهل مكة، وصلوا بصلاته قصراً وجمعاً بلا ريب، ولم يأمرهم بالإتمام، ولا بترك الجمع.

• فلما فرغ من صلاته ركب حتى أتى الموقف في ذيل الجبل عند الصخرات، واستقبل القبلة، وجعل جبل المشاة بين يديه، وكان على بعيره، فأخذ في الدعاء والتضرع والابتهال إلى غروب الشمس وأمر الناس أن يرفعوا عن بطن عرفة، وأخبر أن عرفة لا تختص بموقفه ذلك، بل قال: «وقفت ها هنا وعرفة كلها موقف».

• وأرسل إلى الناس أن يكونوا على مشاعرهم، ويقفوا بها، فإنها من إرث أبيهم إبراهيم، وهنالك أقبل ناس من أهل نجد، فسألوه عن الحج فقال: «الحج عرفة، من جاء قبل صلاة الصبح من ليلة جمع تم حجه، أيام منى ثلاثة، فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه، ومن تأخر فلا إثم عليه». وكان في دعائه رافعاً يديه إلى صدره، وأخبرهم أن خير الدعاء دعاء يوم عرفة.

• فلما غربت الشمس، واستحكم غروبها بحيث ذهبت الصفرة أفاض من عرفة، وأردف أسامة بن زيد خلفه، وأفاض بالسكينة، وضم إليه زمام ناقته ، حتى إن رأسها ليصيب طرف رجله وهو يقول : « أيها الناس عليكم السكينة ، فإن البر ليس بالإيضاع» أي: ليس بالإسراع.

• وكان ﷺ يلبي في مسيره ذلك، لم يقطع التلبية، فلما كان في أثناء الطريق نزل صلوات الله وسلامه عليه فبال، وتوضأ وضوءاً خفيفاً، فقال له أسامة: الصلاة يا رسول الله، فقال: «الصلاة - أو المصلى - أمامك».

• ثم سار حتى أتى المزدلفة، فتوضأ وضوء الصلاة، ثم أمر بالأذان فأذن المؤذن، ثم أقام فصلى المغرب قبل حطّ

الرِحال وتبريك الجمال، فلما حطُّوا رحالهم أمر فأقيمت الصلاة، ثم صلى عشاء الآخرة بإقامة بلا أذان، ولم يصلِّ بينهما شيئاً. ثم نام حتى أصبح، ولم يُحيي تلك الليلة، ولا صحّ عنه إحياء ليلتي العيدين شيء.

❖ فضل يوم عرفة ❖

١- انه يوم إكمال الدين وإتمام النعمة: ففي الصحيحين عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلاً من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين، آية في كتابكم تقرأونها، لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً قال: أي آية؟ قال: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣)

قال عمر: قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي ﷺ وهو قائم بعرفة يوم الجمعة.

٢- انه يوم عيد لأهل الموقف: قال ﷺ: «يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق عيدنا أهل الإسلام وهي أيام أكل وشرب» (صحيح النسائي للألباني).

٣- انه يوم أقسم الله به: قال رسول الله ﷺ «اليوم الموعود يوم القيامة، واليوم المشهود يوم عرفة، والشاهد يوم الجمعة» (صحيح الترمذي للألباني).

٤- ان صيامه يكفر سنتين: سئل رسول الله ﷺ عن يوم عرفة فقال: «يكفر السنة الماضية والسنة القابلة» (مسلم) وهذا يستحب لغير الحاج.

٥- انه اليوم الذي أخذ الله فيه الميثاق على ذرية آدم: قال رسول الله ﷺ «إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم بنعمان - يعني عرفة - وأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها، فنثرهم بين يديه كالذَّر، ثم كلَّمهم قبلا قال:

﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ (١٧٢) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾(الأعرف: ١٧٢، ١٧٣) (صحيح الجامع).

٦- انه يوم مغفرة الذنوب والعتق من النار والمباهاة بأهل الموقف: قال رسول الله ﷺ: «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة، وانه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء؟» وعن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى يباهي ملائكته عشية عرفة بأهل عرفة فيقول: انظروا إلى عبادي، أتوني شعثاً غبراً» (صحيح الجامع).

أخي الحاج ... أختي الحاجة

إذا قضيتم النسك ، وتم لكم الحج ، فأكثروا من ذكر الله واستغفروه وتوبوا إليه فهي وصية الله تعالى لكم حيث قال :

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة : ٢٠٠) .

وقد كان رسول الله - ﷺ - إذا قفل من غزو أو حج أو عمرة يكبر على كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات ثم يقول : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير ، آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون ، صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده » (متفق عليه) .

ولنعلم أن لصلاح العمل آيات ، ولقبوله علامات ، فعلامة بر الحج أن يزداد بعده خيراً ، ولا يعاود المعاصي بعد رجوعه .

وأخيراً : تقبل الله حجكم ، ورفع في الجنان قدركم ، وأعادكم إلى أهلكم سالمين معافين ومن الذنوب طاهرين ... آمنين .

(جميع حقوق الطبع محفوظة)